هداياتُ سُوْرةِ البقرةِ وأثــرها فى إنشــاءِ الحضارةِ الإسلاميــةِ المنيــرةِ للعَالَــمِ

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

هداياتُ سُوْرةِ البقرةِ وأثرها في إنشاءِ الحضارةِ الإسلاميةِ المنيرةِ للعَالَمِ[1]

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

ملخص البحث

سورة البقرة تؤسِّسُ للحضارة الإسلامية التي تُشْرِقُ على العالم بحناها ورحمتها، وتقدِّم الأنموذجَ الناجحَ للاستخلاف في الأرض، من خلال إعادة بناء حضارة المتقين في الأرض، والإفادة من تجربة الاستخلاف الإسرائيلية. ويهدف البحث إلى إيضاح أهم الهدايات القرآنية الكلية في سورة البقرة التي أرست قواعد حضارة المتقين الإسلامية المنيرة التي أشرقت على العالم.

ويستخدم البحث المنهج الاستقرائي والكلي في الوصول إلى الهدايات الكلية التي أسَّست للحضارة الإسلامية في السورة، ودراستها دراسة تحليلية. ويمتاز بالتقسيم المتأني للمحاور الكلية للسورة، وتكوَّن البحث من: مقدِّمةٍ تضمَّنَت مناقشة مصطلحات البحث وركائزه التي يقوم عليها، وأربعة مباحث: المبحث الأول: بين الهدايات الكلية، وعلم التسوير المعنوي، والمبحث الثاني: الخريطةُ الكليةُ لسورة البقرة توضِّح موضوعَها الكليَّ، وترسم هداياتها الكلية، والمبحث الثالث: الاستخلافُ الإسرائيليُّ بين الفشل والنجاح في إقامة مبادئ الاستخلاف في ضوء سورة البقرة، المبحث الرابع: أُسُسُ إنشاءِ الحضارةِ الإسلاميةِ في سورة البقرة.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: أن الخريطة الكلية لسورة البقرة صورة عظيمة للبينة القرآنية في ترتيب آياتها، وتسويرها بسُوْرِها المشهور بـ(سورة البقرة)، وأن الهدايات الكلية شكَّلت محاور متتابعة في السورة، وكوَّنت بذلك قاعدة مكينة للبناء الحضاري، بما اكتنزته من معالم الرشد وسنن الهدى القرآني الكفيل بالنهوض بالأمة من وهدة التخلف والضعف، إلى مراقي العز والتمكين

الكلمات المفتاحية: هدايات– سورة البقرة– الحضارة الإسلامية– أُسُس.

(١) بحث محكم ضمن فعاليات مؤتمر هدايات القرآن في بناء الإنسان، مركز مكة العالمي للهدى القرآني بالتعاون مع جمعية القلم للدراسات والأبحاث، وشركة هداية للبحث والتطوير، المنعقد في مكة المكرمة في المدة ٣٠/ ٢– ٢/ ٣/ ١٤٤٥هـ، الموافق: ٣–٥/ ٩/ ٢٠٢٤م.

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، وأنزل الْقُرْآنَ يهدي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، ويُؤَسِّسُ لحياة أطيب وأنعم، والصلاة والسلام على رسول الله الذي دعا إلى الرب الأكرم، فعلَّم الإنسان ما لم يعلم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن سورة البقرة تمثِّل مركزًا من مراكز نشر الهداية القرآنية في كليات الحياة وتفاصيلها، ففي أول السورة نجد هذا الوصف المهيب الذي يبين دور المتقين في نشر الهدى في العالمين تطبيقًا ودعوة ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وفي وسطها يبهرنا وصف القرآن بأنه هداية لا تقتصر على المؤمنين بل تشمل الناس أجمعين: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي آخرها يبين الله ﷻ أنه مصدر الهداية تشريعًا وتوفيقًا في المجالات الفردية والجماعية، فيقول: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

ولأن هذه السورة المباركة كانت أول السُّوَر المدنية نزولًا، فقد أسَّست معالم الأمة الوسط التي ستكون شاهدة على الناس بسبب إقامتها لمعالم العمران الراشد، وحضارة الهدى والبشرى في أطراف العالم المتباعد، وبذلك ستخلف الملل السابقة التي ضلت وأضلت عن سواء السبيل، ولأجل ذلك أصدرت كتابي: تسوير سورة البقرة "إشراق الحضارة الإسلامية على العالم، وتجربة الاستخلاف الإسرائيلية"، وهذا البحث يرصد المعالم الكلية لحضارة الهدى الإسلامية الجديدة في سورة البقرة، فأشرقت بذلك على العالم من المدينة بحنانها ورفقها ونورها، وأخرجت المؤمنين الصادقين من الظلمات إلى النور.

ولتحقيق هذه الغاية جاء البحث في مقدمة، وأربعة مباحث، وذلك كالآتي:

المبحث الأول: بين الهدايات الكلية، وعلم التسوير المعنوي.

المبحث الثاني: الخريطةُ الكليةُ التي توضِّح الموضوعَ الكليَّ لسورة البقرة، وترسم هداياتها الكلية المنبثقة عن محاورِها العامَّة.

المبحث الثالث: الاستخلافُ الإسرائيليُّ بين الفشل والنجاح في إقامة مبادئ الاستخلاف في ضوء سورة البقرة.

المبحث الرابع: أُسُسُ إنشاءِ الحضارةِ الإسلاميةِ في سورة البقرة.

وقبل الولوج في تفاصيل البحث، نعرِّف ببعض مصطلحاته:

الخريطة الكلية للسورة القرآنية: يقصد بها: المقاطع الكبرى التي تتكون منها كل سورة بحسب ترتيب آياتها، وهي تمثِّل موضوعاتها الكبرى، وقضاياها الرئيسة حسب تتابع الآيات، والتي تؤول في النهاية إلى عمود السورة وموضوعها الكلي الجامع.

الحضارة:

تذكر المعاجم اللغوية أن كلمة "الحضارة" تعني الحياة المدنية، وهي تقابل "البداوة" أي: حياة البادية[١]، «ولم تعد كلمة حضارة في العرف المعاصر مقصورة على مدلولها القديم المقابل لمدلول كلمة "بداوة"، وإنما جاوزته إلى مدلول آخر هو التعبير عن ارتقاء المجتمع وارتفاعه عن المستويات البدائية، ويقصدون عادة بالمجتمع المتحضر ذلك المجتمع الذي له قيمه الروحية الرفيعة، وأساليبه المادية المتطورة في مواجهة الحياة الطبيعية»[٢].

وقد عرفها مالك ابن نبي بأنها: «جملة العوامل المعنويّة والماديَّة التي تتيح لمجتمع ما أن يوفِّر لكلِّ عضوٍ فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوُّره»[٣].

وعرفها (وول ديورانت) بأنها: "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون"[٤]، ويقول أشفيستر في عبارة أدق: "الحضارة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء"[٥].

ويقول ابن خلدون مبينًا أن البناء الحضاري إنما يكون عبر أدوار متوالية يسلم بعضها إلى بعض: "اعلم أنَّ هذه الأطوار طبيعيَّة للدُّول فإنَّ الغلب الّذي يكون به الملك إنَّما هو بالعصبيَّة وبما يتبعها من شدَّة البأس، وتعوُّد الافتراس، ولا يكون ذلك غالبًا إلَّا مع البداوة فطور الدُّولة من أوَّلها بداوة، ثمَّ إذا حصل الملك تبعه الرَّفه واتِّساع الأحوال"[٦]، وقريبًا من هذا قول (وول ديورانت): "وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أَمِنَ الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها"[٧].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، (١٤٣/١٤).

(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، (ص٢٥).

(٣) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك ابن نبي، (ص٤٢).

(٤) قصة الحضارة، وول ديورانت، (٣/١).

(٥) فلسفة الحضارة، أشفيستر، (ص: ٣٤).

(٦) تاريخ ابن خلدون، (٢١٦/١)، وينظر: معالم حضارات الشرق الأدني القديم، محمد أبو المحاسن عصفور، (ص: ٢،١).

(٧) قصة الحضارة، وول ديورانت، (٣/١).

المبحث الأول

بين الهدايات الكلية، وعلم التسوير المعنوي

يطمح كل مَن يؤلف في علم الهدايات القرآنية إلى معرفة كيف تلقى الجيل الأول بصائر القرآن وهداياته، وإذا كان هذا من المقررات عند المسلمين، فإننا نجد في علم دلالة القرآن باحثين معاصرين غير مسلمين يشيرون إلى أهمية ذلك، فهذا (توشهيكو) يطمح إلى الوصول إلى الفهم الأولي أو التلقي الأول للوحي، كما تجلى في عصر الرسول والصحابة، باعتباره فترة الصدمة أو النقلة الدلالية المباشرة التي أدركها العرب حينها على نحو جليٍّ وحاد، وقد صرح بأن دراسته هذه ما هي إلا محاولة لـ «لإسهام بشيء جديد من أجل فهم أفضل لرسالة القرآن لعصره ولنا»، وبرر ذلك بقابلية القرآن للدراسة من عدة أوجه كعلم الكلام والفلسفة والاجتماع والتفسير(١).

والهدايات التفصيلية كانت واضحة بينة عندما كانت تنزل الآيات المباركات على خير أمة أخرجت للناس، ولكن الهدايات الكلية التي نلمسها من تسوير كل سورة لم تتضح إلا بعد اكتمال كل سورة بعينها، وتم ذلك بصورة ختامية بوفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما خُتِم الوحي، واستقر محتوى السور الطويلة في القرآن الكريم، ومنها سورة البقرة التي نزلت آخر آياتها في آخر أيام النبي ﷺ ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: آخر ما نزل من القرآن كله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨١](٢)، وعاش النبي ﷺ بعد نزولها تسع ليال ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول.

وكذلك آيات الربا في السورة، وأولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة:٢٧٨]، فقد جاء عن بعض الصحابة أنها من آخر ما نزل، ومعها آية الدين، فعن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدًا بالعرش آية الدين(٣)، وعن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهدًا بالعرش آية الربا وآية الدين(٤).

---

(١) الله والإنسان في القرآن، توشهيكو إيزوتسو، (ص: ٢٨).

(٢) صحيح البخاري (٥٩/٣).

(٣) تفسير الطبري (٤١/٦)، وقال المحقق (محمود شاكر): "هذا إسناد صحيح إلى ابن المسيب، ولكنه حديث ضعيف لإرساله، إذ لم يذكر ابن المسيب من حدثه به".

(٤) فضائل القرآن، أبو عبيد (ص: ٣٦٩).

ولما كان بناء السور العظيم قد اكتمل، فلا بد من البحث عن الهدايات الكلية المستقاة من كل سورة سورة، وقد مرَّ علم (التسوير المعنوي) بعدة أطوار[١]:

الطور الأول: إشارات التأسيس:

ووجدناها عند عدد من أئمة التفسير، وأبرزهم: الطبري (ت٣١٠هـ)، والقفال الشاشي (ت٣٦٥هـ) الذي وصفه الرازي -رحمه الله- كَانَ حَسَنَ الْكَلَامِ فِي التَّفْسِيرِ دَقِيقَ النَّظَرِ فِي تَأْوِيلَاتِ الْأَلْفَاظِ[٢]، وفي هذه المرحلة نجد -أيضًا- عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) المشهور بنظريته في النظم القرآني، وكذلك الزمخشري ت(ت٥٣٨هـ).

كما نجد الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، فله تأثير ضخم على المتأخرين، فـ(دراز) والشعراوي -رحمهما الله- كان أساسًا في صناعتهما التفسيرية، كما قرَّر قاعدة ضخمة في فهم الهدايات القرآنية وبصائره، إذ ذكر أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه فهو أيضًا معجز بسبب ترتيبه، ونظم آياته[٣].

الطور الثاني: طور بدايات النضج والتأسيس:

وفيه وجدنا الجهد الإبداعي للبقاعي (ت٨٨٥هـ)؛ إذ قرر أنواعًا متعددة من علم الاتصال القرآني مثل: الاتصال الخطي، والاتصال الدائري، والاتصال المقاصدي، ومن أهم كتبه: "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، و"دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم"، وهو اختصار بصورة أكثر نضجًا للدرر، و"مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ"، ويسمى: "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى".

وقام بتأسيس عدد من السوابق في هذا المجال:

١) استشعر في اختصاره أنه ينبغي تسمية (علم الاتصال القرآني) (وعلم التسوير المعنوي) بما هو أقوى من علم (المناسبات)، ولكن لم يُهدَ لتسمية متميزة.

٢) طرح مبكرًا إشكالية التدليل على صحة التأويل في التدبر في علم التسوير، فقال: "وأمارة الصحة في هذا العلم: إذا عرضته على العقول تلقته بالقبول، ولم يقدح فيه شيء من صحيح المنقول"[٤].

---

(١) ينظر: تسويرُ السُّورةِ القرآنيةِ: إعجازٌ متجدِّدٌ، عبيد السلام المجيدي (ص: ٢٥٢-٢٥٣).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي (١١/٧).

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي (١٠٦/٧).

(٤) دلالة البرهان القوي على تناسب آي القرآن العظيم، البقاعي، ص ٢أ من نسخة مخطوطة السليمانية رقم ٧٧٠وهي قيد تحقيق أستاذنا أ.د/عبد الله الخطيب، وقد حباني بهذه الجواهر.

٣) أظهر أهمية علم التسوير: فذكر أن "نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو.. هو للكلام كالروح بالنسبة إلى الجسد، يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب.

الثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب[١].

وغلب على تدبره الاتصال الجزئي (اتصال المفردات والجمل في الآية الواحدة، أو اتصال الآية بالآية) إلا محاولات رائدة للرازي ضاعت مع تزاحم علوم تفسيره.

ويمكن أن نضيف في هذا الطور عدد من الأسماء، مثل: مدرسة المنار لمحمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، ومدرسة ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ).

الطور الثالث: طور التقعيد والتكريس:

إذ حدث الانتقال من مرحلة (النَّظْم) إلى علم (النظام)، ورائد هذه المرحلة حميد الله الفراهي (ت ١٣٥٤هـ)، وسُبِق إلى هذا المصطلح دون أن يكون عَلَمًا، فالحسين الحَلِيمي (ت٤٠٣هـ) يقول: «نظام القرآن ليس من عند جبريل، لكنه من عند الله اللطيف الخبير»[٢]، يقول الفراهي: «فكأني نذرت نذرًا: أن أتمسك بآيات الله ونظامها، فلا أجاوز عنها شبرًا، مجتنبًا غلوًّا في الدين، فلم أك متخذ الباطنية بطانةً، ولا الظاهرية ظهرًا»[٣]، وله: (التكميل في أصول التأويل)، و(دلائل النظام)، و(نظام القرآن)، ونقل هذا لتلامذته مثل أمين أحسن إصلاحي (ت١٩٩٧م).

ومن رواد هذه المرحلة: د/محمد عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ) صاحب "النبأ العظيم"، فقد طبق مبدأ التسوير على سورة البقرة، ولكنه لم يحدد مصطلحًا محددًا لتسمية المنهج الذي أبرزه بصورة عظيمة، ورأى أن الترتيب القرآني للسورة اتبع خطة تفصيلية شاملة رسمت فيها مواقع النجوم من قبل نزولها، بل من قبل أن تبدأ الأطوار الممهدة لحدوث أسبابها، وفي هذه المرحلة رأينا محاولات غريبة مثيرة لم تخضع لدراسات تقويمية مثل:

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المنهاج في شعب الإيمان، الحَلِيمي (١/٣٢٠).

(٣) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الفراهي (ص: ١٠، ١١).

جهد (د.ميشيل كويبرس البلجيكي):

له في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، وكتاب في نظم القرآن، نشر باللغة الفرنسية في عام ٢٠١٢، وترجم إلى العربية.

وكذلك جهد (ريموند فارين):

فقد جعل التناظر حاكمًا على نظام السورة القرآنية، ورأى أن القرآن يقوم على بنية متحدة المركز، وأن سور القرآن كلها تقوم على «مبدأ النَظْم الدائري»، ويعتقد أن مركز القرآن يوجد في سورتي القمر والرحمن، إلا أن أعماله تتسم بالبدائية الواضحة(١).

من هنا تنبعت أهمية النظر إلى الهدايات الكلية لسورة البقرة، وهو ما سنتجه إليه في المبحث الآتي:

(١) انظر كلامه في هذا الرابط: https://www.alukah.net/sharia/٠/٧٩٧٧٦/

المبحث الثاني

الخريطةُ الكليةُ لسورة البقرة توضِّح موضوعَها الكليَّ، وترسم هداياتها الكلية وبيناتها المذهلة في بناء الحضارة الإسلامية الجديدة في المدينة

سورة البقرة أولى السَّبع الطِّوال، وهي بما اكتنزته من معالم الهدى، وأصول الشريعة، ومحكمات الملة تعدُّ أساسًا معرفيًّا لا بد منه للأمة أفرادًا وجماعات.

اسم سورة البقرة، ودلالاته الحضارية:

هذه التسمية تدلنا على البناء الدستوري المبكر لحضارة الإسلام التي تشرق على العالم من المدينة؛ وتناسب الكيفية التي ينبغي أن تكون عليها أمة الرحمة للعالمين في المجالات الفردية والجماعية، لأن الحضارة الجديدة تقوم على مبدأ ﴿سمعنا وأطعنا﴾، لا على التفكير البقري المتعنت المعاند.

وانظر إلى التسمية لترى أن المراد منها ذكر قصة بقرة بني إسرائيل، فقولنا سورة (البقرة) لا يعني هذا الاسم جنس البقر، وترجمتها بكلمة (cow) بالإنجليزية قصورٌ عظيم؛ وتقصيرٌ مخلٌّ؛ إذ هي بقرةٌ مخصوصة تتعلَّق بقصَّةٍ وقعت لبني إسرائيل، فاسم السورة رمزٌ ملتصقٌ بهم، وكلنا يعلم ما قصَّه الله علينا من خبرهم كيف تعنتوا وأبوا إلا أن يطَّرحوا التفكير الناضج المسؤول مع أمر الله، واتخذوا من التفكير البقري مسلكًا عوجًا.

فهذا الارتباط الرمزي لهذه السورة العظيمة ببقرة بني إسرائيل يجعل أمة الإسلام تبني حياتها وفق مبدأ الإيمان بالغيب، ومبدأ سمعنا وأطعنا، وليس وفق عقلية أصحاب (البقرة) الإسرائيلية.

حفظ سورة البقرة أساس للقيادة الحضارية:

لم يزل حفظ سورة البقرة وتعلمها في العهد النبوي معيارًا للأهلية القيادية؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل منهم من أحدثهم سنًا، فقال: «ما معك يا فلان؟» قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة، قال: «أمعك سورة البقرة؟» قال: نعم. قال: «فاذهب فأنت أميرهم»[1].

(١) الترمذي (٢٨٧٦)، وحسَّنه. ورجح البخاري إرسالَه في "التاريخ الكبير" (٦ / ٤٦٢).

وحتى تتجلى لنا معالم الرشد تلك المودعة في سورة البقرة فإننا بحاجة للوقوف على الخريطة الكلية والمحاور العامة لها؛ لتوصلنا إلى الموضوع الكلي الجامع الذي تؤول إليه تلك المحاور، وسيشكل ذلك توطئة وتأسيسًا لإظهار أثر هدايات سورة البقرة في في إنشاءِ الحضارةِ الإسلاميةِ المنيرةِ للعَالَمِ.

الخريطة الكلية التي تظهر المحاور العامة لسورة البقرة:

نهدف هنا إلى التعرف على المحاور التي تكونت منها هذه السورة، وشكلت خريطتها الكلية، وذلك كالآتي:

الخريطة الكلية التي تظهر المحاور العامة لسورة البقرة

المقدمة الأولى: القرآن الكتاب الذي لا ريب فيه لإصلاح العالم، فهو أساس إدارة نظام الحياة في الأرض (البقرة: ١-٢)

المقدمة الثانية: التَّقسيم العالميُّ للواقع البشريِّ بالنسبة للانتفاع بدستور الحياة الذي لا ريب فيه (القرآن) (البقرة: ٢-٢٠)

- **المحور الأول:** الإعلان الإلهيُّ للبشريَّة عن النِّظام الحقيقيِّ الوحيد للحياة الإنسانيَّة، وهو نظام العبادة الذي يؤدِّي إلى الفلاح، وأرقى درجات السَّعادة، وبراهين ذلك [البقرة: 21-29].
- **المحور الثاني:** القِصَّة الحقيقيَّة لبدء التَّاريخ البشريِّ، والتَّكريم الإلهيُّ للإنسانيَّة بالاستخلاف في الأرض [البقرة: 30-39].
- **المحور الثالث:** (المحور الإسرائيليُّ) دعوة بني إسرائيل إلى الوفاء بالعهد، والإيمان بالنَّبيِّ الخاتم، والأنموذج الإسرائيلي بين النجاح والفشل في إقامة مبادئ الاستخلاف [البقرة: 40-123].
- **المحور الرابع:** إرث الأمة الإسلاميَّة للملَّة الإبراهيميَّة [البقرة: 124-158].
- **المحور الخامس:** أعظم الحقائق الكونيَّة التي يجب تبيينها للعالم، وامتنع أهل الكتاب عن تبيينها بالصُّورة المطلوبة: حقيقة التوحيد المقترنة بالرَّحمة، وموانع اعتناقها [البقرة: 159-171].
- **المحور السادس:** التَّمكين التَّشريعيُّ للحضارة الإسلاميَّة الجديدة التي تشرق على العالم من المدينة (القِسْط الأوَّل): وذكر الله عز وجل فيه النُّظم التَّشريعيَّة الفقهيَّة الحياتيَّة، وآثارها في صناعة حياة الرُّشد، والعدل، والإحسان [البقرة: 172-207].
- **المحور السابع:** الدُّخول في السِّلم كافَّة (الإسلام والسَّلام)، فهو شرط تحقُّق الرُّشد، والعدل، والإحسان في الحضارة الجديدة التي تشرق على العالم [البقرة: 208-214].
- **المحور الثامن:** التَّمكين التَّشريعيُّ للحضارة الإسلاميَّة الجديدة التي تشرق على العالم من المدينة (القِسْط الثَّاني): وذكر الله عز وجل فيه النُّظم التَّشريعيَّة الفقهيَّة الحياتيَّة، وآثارها في صناعة حياة الرُّشد، والعدل، والإحسان [البقرة: 215-242].
- **المحور التاسع:** سُنَنُ الخروج من حالة الاستضعاف وصناعة التَّوازن والسَّلام العالميَّين (سُنَّة التَّدافع): لتقوم الحضارة الإسلاميَّة الجديدة في المدينة، وتخرج من استضعاف القوى المجرمة، كما أقام داود عليه السلام حضارته [البقرة: 243-254].
- **المحور العاشر:** الحضارة الإسلاميَّة الجديدة تشرق على العالم بالتَّعريف بعظمة الله عز وجل، ومزايا دينه، ودلائل قدرته؛ لتتحقَّق الثِّقة به في الخروج من الاستضعاف، ولتكون الرِّسالة عالميَّة [البقرة: 255-260].
- **المحور الحادي عشر:** إشراق الحضارة الإسلاميَّة بالإدارة المتميِّزة للأموال إنفاقًا عادلًا لها في المجتمع، وتنظيمًا لاستثمارها وتنميتها [البقرة: 261-283].

الخاتمة:

السُّورة تشرق بالحضارة الجديدة في العالم، فناسب أن تُختم بكنز من تحت العرش [البقرة: 284-286].

الأستاذ الدكتور
عبد السلام مقبل المجيدي

الموضوع الكلي لسورة البقرة الذي تدور حوله المحاور السابقة:

اعتمدتُ على الأسس السِّتَّة التي تهدي لتقرير موضوع كلِّ سورة، وهذه الأسس يلخصها الشَّكل الآتي:

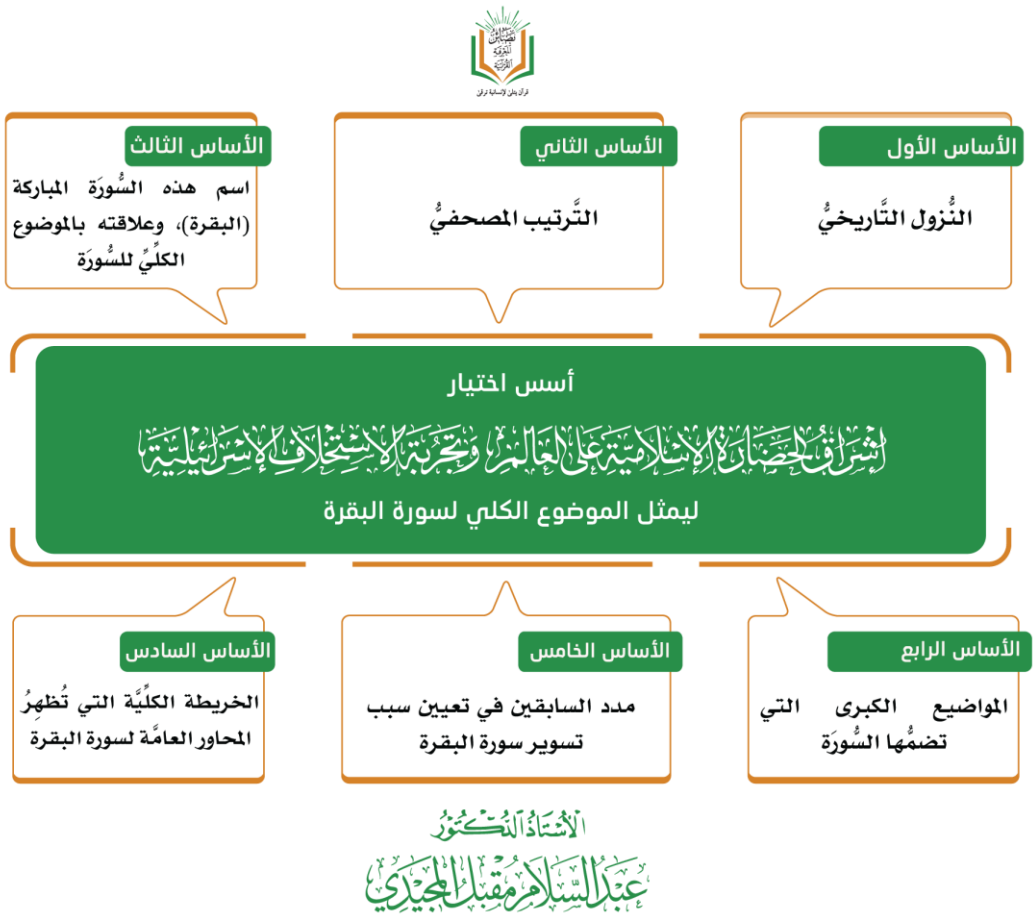

وبالنظر في الخريطة الكلية لسورة البقرة، ومحاورها الكلية، وموضوعاتها الكبرى، وبعد طول تأمل وإعمال منهج التبصر والتدبر توصلت إلى أن موضوعها الكلي هو:

"إشراق الحضارة الإسلامية الجديدة على العالم، وتجربة الاستخلاف الإسرائيلية"[1].

(١) ينظر: الوسيط في تفسير سورة البقرة، عبد السلام المجيدي (ص: ٣٠، ٣١).

فالسورة تؤسس للحضارة الإسلامية، وتقوم على نظامٍ دستوري إلهي عماده التقوى، والأساس العملي للتقوى الإيمان بالغيب؛ فمن أعظم ما أنت واجدٌ في هذه السورة من المعاني والهدى ما كان في شأن طلوع شمس الحضارة الإسلامية وإشراق نورها في العالمين، مع ما اشتمل عليه ذلك النور من القواعد والأسس والمنهج الأقوم، والإفادة من سنن الأولين، والتركيز على كشف عقلية أصحاب البقرة الإسرائيلية.

المبحث الثالث

الاستخلافُ الإسرائيليُّ بين الفشل والنجاح في إقامة مبادئ الاستخلاف في ضوء سورة البقرة

وتكون هذا المبحث من مطلبين:

المطلب الأول: اهتمام القرآن الكريم بأخبار بني إسرائيل، وتجربة استخلافهم عبر القرون

لا يخطئ المتأمل المتدبر بعين البصيرة ما أولاه القرآن الكريم من أهمية ببني إسرائيل وأخبارهم مع أنبيائهم وقصصهم عبر حقب تاريخهم، وقد تناولت سورة البقرة التجربة الإسرائيلية في الآيات [٤٠-١٢٣]، و اللافت هنا ورود هذا المحور في سورة البقرة في هذا المكان المبكر من السورة قبل ذكر إبراهيم عليه السلام؛ إذ يمثل مفاجأة تجعلك في صرة، وهذه المفاجأة تشبهها المفاجأة التي وجدناها في اسم هذه السورة. وتمدنا المعرفة القرآنية هنا ببصائر فريدة عن التجربة الإسرائيلية في أطول محور في السورة، ويتمثل ذلك فيما يأتي:

١) تحدثنا هذه الآيات عن خفايا التاريخ الإسرائيلي التي يجهلها كثير من الناس، بل يجهلها كثير من الإسرائيليين أنفسهم، ومن أبرز أمثلتها: قصة البقرة.

كشف الله ﷻ كثيرًا من ماضيهم السيء، كما في قوله -جل مجده-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة ٦١].

٢) وأخبرنا الله ﷻ -أيضًا-عن خفايا حاضرهم الأسوأ في عهد النبي ﷺ، إذ قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وأخبرنا كيف جاؤوا من أنحاء الأرض إلى صحراء الجزيرة العربية في انتظار مبعث النبي ﷺ، ولما جاءهم كذبوه وآذوه وحاربوه كبرًا وحسدًا؛ إذ لم يكن منهم، كما قال ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

٣) قصَّ الله ﷻ علينا كيف فشلوا في كثيرٍ من محطات تاريخهم في إقامة المنهج الذي أنزله عليهم ربهم ﷻ، فكشف لنا أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واعتمدوا على الشُّبَه المتعددة التي أعمت بصائرهم عن الانقياد للحق، واستندوا إلى ما تلته الشياطين على ملك سليمان.

المطلب الثاني: أقسام المحور الإسرائيلي في سورة البقرة

يمكننا تقسيم المحور الذي عُني بعرض تجربة الاستخلاف الإسرائيلية إلى سبعة أقسام كالآتي:

القسم الأول: أسباب الاهتمام بالنموذج الإسرائيلي [المكانة الإسرائيليَّة ضمن القوى الفاعلة في الأرض]، ويتضمَّن أصول التَّكليف الإلهيّ لبني إسرائيل [البقرة:٤٠- ٤٨].

وقد تضمَّن هذا القِسم عدة أسباب، منها:

السبب الأول: إنشاء قنوات التَّواصل اللَّفظي المباشر معهم بأن نخصِّصهم بالخطاب والحوار، ومزج الخطاب السِّياسي بالخطاب الدَّعويّ الإنسانيّ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠].

السبب الثاني: التَّذكير بالعهد المأخوذ على الأمَّة الإسرائيليَّة، كالعهد المأخوذ على أمَّتنا، وسائر الأمم: {وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ} [البقرة:٤٠].

السبب الثالث: خطورة الأسلوب الذي تتبعه القيادات الدِّينية والسِّياسيَّة الإسرائيليَّة الفاسدة في إضلال الأمم، (لبس الحقِّ بالباطل): ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

السبب الرابع: إخفاق كثيرٍ من الإسرائيليين في الجمع بين النَّظريَّة والتَّطبيق، والضَّعف في اقتران الأقوال بالأفعال، وعدم ضمِّ الممارسة إلى التَّنظير؛ مما يجعل تصدُّرهم للقيادة العالميَّة مصدرًا للفتنة، بدلًا من نشر الخير، ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤].

السبب الخامس: التَّحذير من الاستغلال الضَّالِّ للتَّفضيل الإلهيّ لبني إسرائيل، إذ تلاعب به فساقهم، فخدعوا عامَّة الإسرائيليين، وغيرهم، بأنَّ لهم مزيَّةً تفضيليَّة إلهيَّة: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧...﴾ [البقرة: ٤٧، ٤٨] (١).

القسم الثاني: القصة التَّاريخية الحقيقيَّة لبني إسرائيل: أعظم النِّعم على بني إسرائيل في تكوينهم أمَّة مستخلفة متمدِّنة [البقرة: ٤٩-٦٠]، وتضمَّن هذا القِسم اثني عشر إنعامًا على بني إسرائيل،ابتداء بالإنعام الأول: النَّجية من مؤسَّسة الظُّلم، والبطش، والإفساد الفرعونيَّة: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة: ٤٩].

(١) ينظر: الوسيط في تفسير سورة البقرة، عبد السلام المجيدي (ص: ١٢١- ١٢٨).

وانتهاء بالإنعام الثاني عشر: الماء وَفْقَ هيئة معجزة: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠][1].

القسم الثالث: مظاهر ظلم بني إسرائيل لأنفسهم وللعالم، وردود أفعالهم على التَّكليفات والمعجزات [البقرة:٥١-٦١].

قابل بنو إسرائيل تلك النِّعم بالجحود، وتعدَّدت مظاهر ظلمهم، فذكرت آيات هذا القِسم تسعة مظاهر، ابتداء **بالمظهر الأول**: الإشراك بالله ﷻ: فقد قابلوا نعمة الله ﷻ بإنجائهم من آل فرعون وفَرْقِ البحر لهم باتخاذهم العجل إلهًا يعبدونه: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١].

وانتهاء **بالمظهر التاسع**: الاعتداء: ﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، والمراد بالاعتداء هنا معنيان:

١) العدوان على غير الأنبياء عليهم السلام، بعد أن ذكر قتل الأنبياء عليهم السلام فيما سبق.

٢) والاعتداء بتجاوز الحقِّ إلى الباطل، إمَّا بالبعد عن الدِّين، أو الغلوِّ فيه[2].

القسم الرابع: تصحيح معيار التَّفضيل، فليست الأفضليَّة لبني إسرائيل ولا لغيرهم بسبب جنسهم:

ويبصِّرنا بذلك قوله جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا...﴾ [البقرة: ٦٢].

لما ذكر الله -تعالى جدُّه- إنعامه العظيم على بني إسرائيل، وأنه فضَّلهم على العالمين، ثم ذكر تاريخهم الحقيقيَّ المليء بظلم أنفسهم والعالم، صحَّح مفهوم التفضيل، فبيَّن هنا أنَّ الثَّواب بالاكتساب لا بالانتساب؛ لئلا يغترُّوا أو يغترَّ غيرهم، فالإنعام العظيم الذي أغدقه عليهم جعلهم يظنُّون أنهم قد فُضِّلوا لجنسهم فقط، وأن جنسهم لا عملهم هو العهد الذي بينهم وبين ربِّهم ﷻ، وذلك يظهر في تصرُّفاتهم حسب أوصاف كتابهم المقدَّس، فأراد الله ﷻ أن يبيِّنَ أنَّ الجنس لا يغني من الحقِّ شيئًا، سواء تعلَّق بالإسرائيليين، أم بالمؤمنين، أم بغيرهم.

القسم الخامس: المواثيق المأخوذة عليهم:

ذُكرت المواثيق التي أخذها الله على بني إسرائيل أربع مرَّات في سورة البقرة: أولها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ...﴾ [البقرة:٦٣].

وذكرت الآيات أنموذجين لنقض بني إسرائيل المواثيق:

---

(١) ينظر: الوسيط في تفسير سورة البقرة، عبد السلام المجيدي (ص: ١٣١-١٣٦).

(٢) ينظر: الوسيط في تفسير سورة البقرة، عبد السلام المجيدي (ص: ١٣٧-١٤٠).

الأنموذج الأوَّل للنَّقض: أنموذج أصحاب السَّبت ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ...﴾ [البقرة:٦٥-٦٦].

الأنموذج الثَّاني: أصحاب البقرة: أنموذج التَّلاعب الإسرائيليّ بالدِّين [البقرة:٦٧-٧٣].

وتكوَّن هذا الأنموذج من ستة مشاهد، أولها: **المشهد الأول**: مرحلة الرَّدِّ الكامل للتَّكليف الإلهيّ، واتخاذ الدِّين هزؤًا ولعبًا: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ ...﴾ [البقرة:٦٧].

وآخرها: المشهد السادس: إحياء الميّت بميّت؛ بيانًا لقدرة الله ﷻ، وعظمته: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٣].

القسم السادس: قساة القلوب يغيّرون الآيات، ويدمّرون المجتمعات [البقرة:٧٤-٨٢]:

وقد عرض هذا القسم لقضيتين جوهريتين:

القضية الأولى: أسوأ نتائج عدم أخذ الكتاب بقوَّة أن تقسو القلوب: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [البقرة:٧٤].

القضية الثانية: أصناف قساة القلوب الذي يغيّرون الشَّريعة، ويدمّرون المجتمعات، وهم خمسة أصناف [البقرة:٧٥-٧٩].

القسم السابع: الشُّبَهُ الإسرائيليَّة في عدم اتباع النُّبوَّة الخاتمة [البقرة:٨٠-١٢٣]:

تمسَّك الإسرائيليون الذين امتنعوا عن الإيمان بالنَّبيِّ الخاتم ﷺ بمجموعة من الشُّبَه مع أنَّهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وتبصِّرنا الآيات بها وبالرَّدِّ عليها، وبلغت الشُّبَه الإسرائيليَّة في هذا الصَّدد إحدى عشرة شبهة، ابتداء **بالشبهة الأولى**: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠]، فيزعمون أنه لا حاجة بهم إلى الإيمان؛ فَهُمْ لن يطيلوا المكث في النَّار.

وانتهاء بالشبهة الحادية عشرة: إذ أثاروا الشُّبَه حول تغيُّرِ الأحكام الإسلاميَّة، وخاصَّة القبلة التي يتمُّ الصَّلاة إليها: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [البقرة:١٤٢].

وقد ردَّ القرآن على جميع هذه الشبه، ودحضها، وبين تهافتها، وعدم تماسكها أمام حجج الحق وبيناته.

وقد تكون الدِّين الباطل الذي صنعوه لأنفسهم، واستبدلوا به الوحي من سبعة أركان:

ابتداء بالركن الأول: الفسق بالخروج عن طاعة الله ﷻ، مهما استبانت الآيات: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [البقرة:٩٩]، والفسق بريد الكفر الأكبر.

وانتهاء بالركن السابع: عدم ودِّهم لنزول أيِّ خير دينيٍّ، أو دنيويٍّ على المؤمنين الصَّادقين: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ...﴾ [البقرة: ١٠٥].

المبحث الرابع

أُسُسُ إنشاءِ الحضارةِ الإسلاميةِ في سورة البقرة

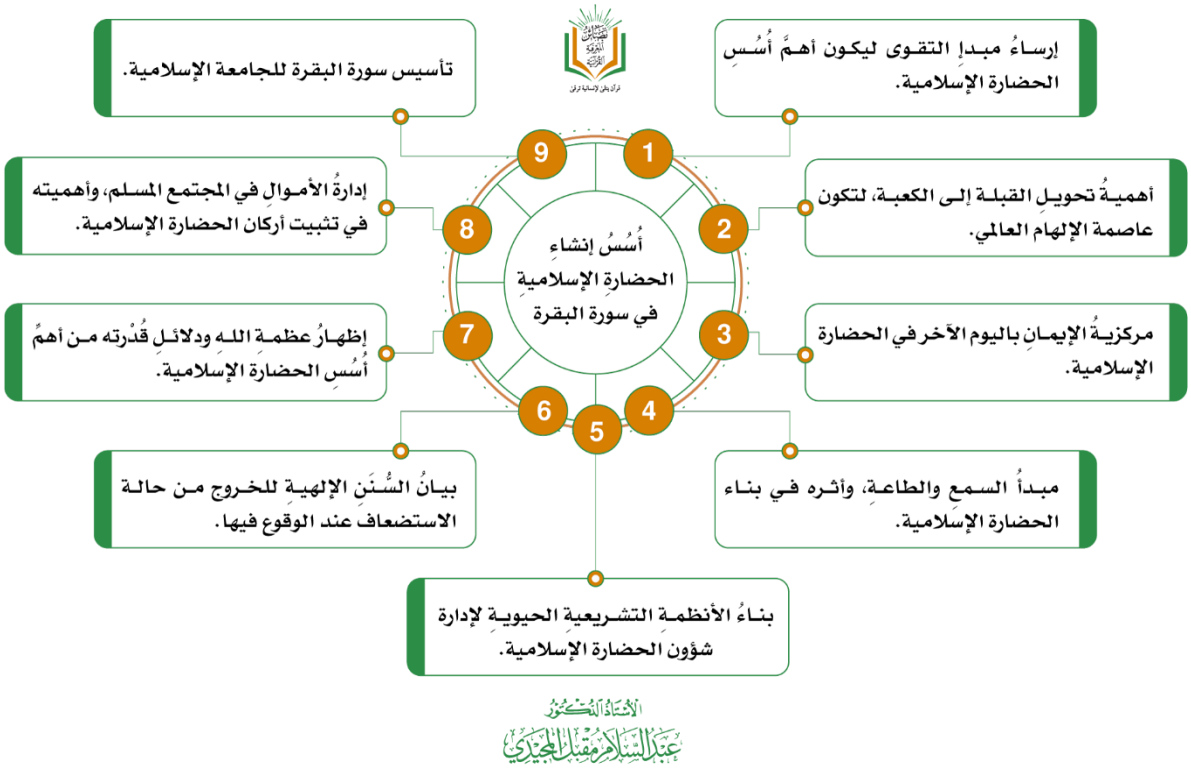

مما شاع حتى صار من المسلَّمات في أكثر الأطروحات الحضارية الغربية الاعتقاد بالتقدم الصاعد، وأن الإنسانية تتجه عن طريق التراكم إلى تطور متتابع صاعد، وأن الجديد يفْضُل القديم لزومًا، وقد تبنّى هذا الرأي فلاسفة اليونان قديمًا، و(بيكون) و(ديكارت) من بعدهم، وهذا التوجه هو الذي مهَّد لفكرة التطور الديالكتيكي بصورتيها: المثالية، والمادية، وقد كان لآراء (داروين) في التطور الطبيعي والبقاء للأصلح أثر كبير في تعزيز الثقة بالتطور الصاعد، الذي تمثل عند (نيتشه) في فكرة السوبرمان [1]، وهو أساس لا يتماسك أمام النقد العلمي، والحفر الابستمولوجي في فلسفة الحضارة، وتفسير أدوارها.

---

(١) ينظر: على عتبات الحضارة: بحث في السنن وعوامل التخلق والانهيار، بتول أحمد جندية، (ص: ١٣)، في معركة الحضارة، قسطنطين زريق، (ص ١٤٦، ١٥٢).

ونحن حينما نعمد إلى الرؤية الحضارية القرآنية نجد الأمر على غير هذا النحو؛ إذ يقرر الطرح القرآني أن للحضارة سننًا وأسسًا من وظفها والتزمها أخذ راية الحضارة.

وبناء على ما تقرر لدينا من أن عمود سورة البقرة هو "إشراق الحضارة الإسلامية الجديدة على العالم"، فإنه يتوجب علينا أن نقف مع (أُسُسُ إنشاءِ الحضارةِ الإسلاميةِ) وفق ما عرضت له السورة، ولتحقيق هذا المقصد لا بد أن ننظر في الموضوعات الكبرى التي عالجتها السورة، وهذا ما سنعرض له في المطالب الآتية:

المطلب الأول: إرساءُ مبدأ التقوى ليكون أهمَّ أُسُسِ الحضارة الإسلامية:

لقد أرست سورة البقرة منظومة واسعة في بيان التقوى ووسائلِها، وآثارِها العظيمةِ في السعادة الإنسانية الدنيوية والأخروية، ودارت هذه السورة حول واحد من أسمى وأعظم الأهداف الحيوية، الذي يُعَدُّ مطمح الطامحين الباحثين عن السعادة والترقي، وهو (التقوى).

إن العقلاء من منظري الحضارة الغربية يدركون أهمية وضرورة هذا الأساس الحضاري، ويتنبؤون بمصير بائس للحضارة التي تهمل هذا الأساس الحضاري المتين، يقول (أبرت أشفيستر): "إن الحضارة التي لا تنمو فيها إلا النواحي المادية دون أن يواكب ذلك نمو متكافئ في ميدان الروح، هي أشبه ما يكون بسفينة اختلت قيادتها، ومضت بسرعة متزايدة نحو الكارثة التي ستقضي عليها"[(١)].

وتكررت (التقوى) في هذه السورة[(٢)] بصورةٍ منظمةٍ منسقةٍ وفق منهجيةٍ واضحة لتأخذ بأيدينا إلى صبغ الحياة بصبغة التقوى، وتأمل ذلك معي في هذه الإشارات التي نجدها في آياتها مرتبة:

فأنت ترى ذكر التقوى ابتداء: من بيان أعظم الأصناف انتفاعًا من الكتاب الخاتم، إذ قال الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وهنا تلاحظ باهتمام أن السورة بدأت بالتقوى في هذه الآية، كما أن ختامها الترتيبي اقترن بالتقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وكذلك ختامها التاريخي؛ إذ كان آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

---

(١) فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيستر، (ص: ١٠٨).

(٢) تتكرت كلمة التقوى ومشتقاتها في القرآن الكريم (٢٢٦) مرة، منها (٣٤) مرة في سورة البقرة، أي ما نسبته (١٥٪)، وهذا يعني أن موضوع التقوى من الموضوعات البارزة في سورة البقرة. ينظر: المعجم المفهرس (ص ٧٥٨-٧٦١).

وتمضي في الآيات فيتكرر ذكر التقوى لتكون هي الغاية من مرتبة العبادة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، ثم تسمع ذكرها بعد ذلك باعتبارها المطلوب من بني إسرائيل وسائر الأمم في العلاقة بالله ﷻ ﴿وَإِيَّيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١]. فـ(التقوى) نظام كاملٌ، وصياغة رائعة للحياة الفاضلة في جميع المجالات، وهي جمالٌ ينير المسيرة البشرية بأعظم الأنوار، وجنة تدفع عنها الأضرار، وبركة تستجلب بها الصالحات، وتحمي من الأوزار(١).

المطلب الثاني: أهميةُ تحويلِ القبلة إلى الكعبة، لتكون عاصمة الإلهام العالمي

يأتي ذكر القبلة في سورة البقرة وتحويلها من بيت المقدس إلى مكانها الأصلي (الكعبة) لتكون من أعظم الآيات التي يعلمها أهل الكتاب لكنهم يصرون على كتمانها، إذ يقول الله ﷻ: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ...﴾ [البقرة ١٤٤].

كان ذلك توطئة لتحفيز المسلمين ليقوموا بدورهم المنتظر بعد ذلك في تحرير الكعبة المشرفة من الرجس الوثني، فلا يقوم أمر البيت إلا بالجهاد عنه(٢)، وذلك لتعود الريادة إلى عاصمة النور الإلهي في الأرض فتضيء للبشرية الدروب: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي ...﴾ [البقرة ١٥٠].

وتجعل السورة ذلك كلَّه ملهمًا للأمة الإسلامية الخاتمة لترث الملة الإبراهيمية تطبيقًا ونشرًا، وتنجح في نظام الاستخلاف، وتنشر الإسلام الذي كان دين إبراهيم وأبنائه وأحفاده، لا لتعبث بالدين باسم إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثالث: مركزيةُ الإيمانِ باليوم الآخر في الحضارة الإسلامية

الإيمان باليوم الآخر فضلًا عن كونه ركنًا في المنظومة العقدية، فإنه ركيزة مهمة للبناء الحضاري وفق الرؤية القرآنية، ذلك أن الإيمان باليوم الآخر من أهمّ المحركات الدافعة لإحسان القول والفعل الفردي والجماعي، ويسري ذلك على الفعل الحضاري، فشأنه لدى المؤمنين عظيم، لا كحال طوائف ممن صبغ الإيمان باليوم الآخر حياتهم بالسلبية، وعقدة التأجيل والانتظار.

---

(١) ينظر: مفصل تفسير سورة البقرة، عبد السلام المجيدي (١/ ٥٦-٥٩).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، (١٤/ ٤٣).

ونتبين مركزية الإيمان باليوم الآخر وأثره في المنظومة العقدية والبناء الحضاري فيما يأتي:

أولًا: إن الإيمان باليوم هي الصفة التي تربط الدنيا بالآخرة، والمبدأ بالمصير، والعمل بالجزاء، وبها يشعر الإنسان أنه ليس مهملًا، وأنه لم يخلق عبثًا، ولن يترك سدى وأن العدالة المطلقة في انتظاره، ليطمئن قلبه، وتستقر بلابله، ويفيء إلى العمل الصالح، وإلى عدل الله ﷻ ورحمته في نهاية المطاف.

ثانيًا: هذه الصفة هي معيار جودة كل صفات المؤمنين المذكورة في أول السورة، فهي التي تؤدي إلى العمل الحقيقي في إقامة بقية الصفات: الموقن بالآخرة يحسب حساب المستقبل القادم فيها، فيصلح عمله ويتقنه استعدادًا للغد المنتظر الذي أيقن بالوصول إليه [١].

المطلب الرابع: مبدأُ السمعِ والطاعةِ، وأثره في بناء الحضارة الإسلامية

أهم الدروس في قصَّة البقرة الإسرائيلية مبدأ السمع والطاعة لأعظم الدساتير الإلهية، ويتمثل في الالتزام بمقتضيات القاعدة الشرعية في الامتثال التعبدي، والبناء الإداري والحياتي على أسس المنهج الإسلامي، واجتناب ورطة أصحاب البقرة الإسرائيلية.

إن نظام ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥] يعني طاعة الله رب العالمين، ورسوله الأمين ﷺ دون تردد أو تثاقل أو إبطاء أو تحرج، وهو الأساس لقاعدة البناء السياسي في الدولة الإسلامية، إذ تتبوأ الطاعة السياسية مكانًا مركزيًّا بين مفاهيم النظرية السياسية الإسلامية.

ومعنى هذا أن الطاعة السياسية المنبثقة من الطاعة الإلهية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بانتهاج تلك السلطة في تدبيرها وسلوكها لما من شأنه تحصيل المقاصد العليا التي جاءت بها الشريعة، والتي لا بد لإقامتها من سلطة وحكم، وأجملها فقهاء السياسة الشرعية تحت مقصدين وظيفيين كبيرين هما "حراسة الدين، وسياسة الدنيا به"[٢].

وتظهر لنا قصة البقرة الإسرائيلية العلاقة بين اسم السورة (البقرة) وبين مبدأ السمع والطاعة، إذ وجدنا موسى عليه السلام يأمر بني إسرائيل، فيقول لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ وبدلًا من أن يقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧].

أما الحضارة الجديدة التي تؤسسها سورة البقرة في المدينة فتنطلق من مبدأ ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وهو أساس الإيمان الذي

---

(١) ينظر: مفصل تفسير سورة البقرة، عبد السلام المجيدي (١/ ٣٥٩).

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي (ص٣)، والمقدمة لابن خلدون (ص١٩١).

ميز المتقين، وهو مفتاح الحياة الحقيقية أمام كلِّ أمرٍ إلهي بلَّغه الرسول ﷺ عن ربه ﷻ.

وكرَّر الله -تعالى ذكره- الأمر بالسمع والطاعة في صورٍ مختلفة، فمن ذلك قوله -جلَّ مجده-: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣]، وبين ضرورة الجدية في التعامل مع القوانين الإلهية الضامنة للحياة الآمنة في قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ٩٣].

واشتملت سورة (البقرة) على إشارات كثيرة تبين عظم أمره وجليل خطره،كتجريم التلاعب بهذا المبدأ وتجزيئه، وتجريم المستهزئين الساخرين من هذه الفكرة المحورية لنمو الحياة وتنظيمها، والأوامر الإلهية التي تأمر بأخذ الكتاب بقوة، وجَعْل هذا المبدأ مفتاحًا للحياة الطيبة، وسبيلًا لمنع سفك الدماء والفساد في الأرض(١).

المطلب الخامس: بناءُ الأنظمةِ التشريعيةِ الحيويةِ لإدارة شؤون الحضارة الإسلامية:

إن الأنظمة التشريعية في سورة البقرة جاءت شاملة للتشريعات التي تقيم مصالح الإنسان، وتدير حياته وتنيرها، وتنظم الحياة للمستخلفين في الأرض، وتدعو الإنسانية لما يحييها.

وجاءت على ترتيب غير متوقع، فلم يقدم أركان الإسلام، بل جعلها جزءًا من كل التشريعات، فبدأ بالأنظمة الغذائية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وكأنَّ في هذا إلماحة إلى عدم إغفال الحاجات الفطرية الضرورية للإنسان، وأن تأمينها يأتي في سُلَّم الأولويات عقلًا وشرعًا وواقعًا.

ثم ينقلك الله من النظام الغذائي، إلى الكلام عن الفساد الإداري العلمي، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [البقرة: ١٧٤]، ثم ينقلك إلى آية جامعة لمختلف أنواع التشريعات: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...﴾ [البقرة: ١٧٧]، فذكر فيها في المجال العقدي والفكري الإيمان بالأركان الخمسة، وفي المجال المالي الاجتماعي الإنفاق في الوجوه الستة، ثم ذكر أهم ركنين من أركان الإسلام، يتعلقان بالصلة بالله والصلة بالخلق، وأهم سلوكين في المجال الخلقي (الوفاء، والصبر) فهما أساس سائر الأخلاق.

ويستمر سياق سورة البقرة، فيحدثنا عن التشريعات في المجال الجنائي، حينما يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، ثم يحبونا بتفصيل تشريعي مذهل في المجال الاجتماعي، فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٨٠].

---

(١) ينظر: مفصل تفسير سورة البقرة، عبد السلام المجيدي (١/ ٦٩-٨٠).

ثم يذكر القوانين التي تحاصر الفساد المالي والإداري في الآية (١٨٨) ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

ثم يُفَصِّلُ قانونًا عظيمًا من أهم القوانين التي ترسي العدالة الدولية: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وكما قرَّرت الآية مبدأ الحفاظ على كيان الدولة والمجتمع المسلم، وجعلت أهدافه نبيلة سامية، فقد قررت كذلك في الوقت نفسه مبدأ عدم الاعتداء ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠].

وفيما يأتي نورد هذه المشجرة التي توضح الخريطة الكلية لبصائر الوفاق والفراق الزوجي في سورة البقرة؛ لتكون دليلًا على الترتيب المحكم للآيات القرآنية، وشاهدًا قويًّا على عظمة التشريعات الإسلامية في الحفاظ على استقرار الحياة البشرية :

الأستاذ الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن – كلية الشريعة – جامعة قطر
رئيس مؤسسة بصائر المعرفة القرآنية
رئيس مشيخة الإقراء اليمنية

هندسة بناء الآيات في الخريطة الكلية لبصائر الوفاق والفراق الزوجي في سورة البقرة

هدايات الوفاق الزوجي في سورة البقرة [221- 227]

1 المرحلة الأولى

تكوين الأسرة

اختيار الزوجة

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ...﴾ [البقرة: 221]

اختيار الزوج

﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ﴾ [البقرة: 221]

2 المرحلة الثانية

حدود المتعة في الحياة الزَّوجيَّة

الممنوع من المتعة في الحياة الزوجية

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ﴾ [البقرة: 222]

المشروع من المتعة في الحياة الزوجية

﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ...﴾ [البقرة: 223]

3 المرحلة الثالثة

الأيمان في الحياة الزَّوجيَّة وغيرها

ولما كانت كثرة الأيمان تصاحب الأسرة عند حدوث النزاع غالبًا؛ ذكر الله عز وجل أحكام الأيمان، وانقسمت إلى قسمين:

حكم الأيمان عمومًا

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ...﴾ [البقرة: 224-225]

اليمين الأشد في الحياة الزوجية (الإيلاء)، وهو حَلِفُ الزوج ألَّا يقرب زوجته مطلقًا، أو مقيَّدًا بأكثر من أربعة أشهر

﴿لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٢٢٦ وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: 226-227].

الأستاذ الدكتور
عبد السلام مقبل المجيدي

الأستاذ الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن – كلية الشريعة – جامعة قطر
رئيس مؤسسة بصائر المعرفة القرآنية
رئيس مشيخة الإقراء اليمنية

هدايات الفراق الزوجي في سورة البقرة [228- 241]

خريطة تفصيليَّة توضِّح الآيات

الأستاذ الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي

بصائر المعرفة القرآنية
قرآن يبني الإنسانية ترقى

ينقسم الفراق الزَّوجي إلى نوعين:

- **فراق بعد المسِّ**: ذكره أولًا لأنه هو الأصل، فمعظم حالات الطلاق تكون فيه [البقرة: 228-235]
- **وفراق قبل المسِّ**: ذكره آخرًا لأنه الأقل [البقرة: 236-237]

وكلاهما يكون من إحدى الجهتين:

- **إما من جهة الزَّوج**: و هو الأصل؛ ولذلك قدَّمه [البقرة: 228-230].
- **وإما من جهة الزَّوجة (الخلع)**: وهوغير المعتاد؛ ولذلك أخَّره [البقرة: 229].

فتمَّ ترتيب الكلام وَفْق الآتي:

النوع الأوَّل: الفراق بعد المسِّ

أولًا: صور الفراق بعد المس

- **صورة [1]**: الطَّلاق الرَّجعيُّ بعد المس من جهة الزَّوج [البقرة: 228]
- تم تأتي
- **صورة [2]**: الطَّلاق الرَّجعيُّ بعد المس من جهة الزَّوج [البقرة: 228]
- تم تأتي
- **صورة [3]**: طلب الطَّلاق من جهة الزَّوجة (الخلع) [البقرة: 229]
- تم تأتي
- **صورة [4]**: الطَّلاق البائن بينونة كبرى [البقرة: 230]

ثانيًا: ضوابط وحقوق بعد الفراق

- **الفصل الأول**: التَّلاعُب بأحكام الطَّلاق [البقرة: 231-232]
- **الفصل الثاني**: حقوق الرَّضيع على الزَّوجين المنفصلين [البقرة: 233]
- **الفصل الثالث**: ما يترتب على الفراق بوفاة الزوج [البقرة: 234]
- **الفصل الرابع**: أحكام خِطبة المعتدَّة بفراق غير رجعي أو بوفاة الزوج [البقرة: 235]

- **أولًا**: التَّلاعُب من جهة الزَّوج [البقرة: 231]
- **ثانيًا**: التَّلاعُب من جهة أولياء الزَّوجة [البقرة: 232]

النوع الثاني: الفراق قبل المسِّ، له حالتان:

- **الحالة الأولى**: 1 من لم يفرض لهن مهر محدد [البقرة: 236]
- **الحالة الثانية**: 2 من فُرِض لهن مهر محدد [البقرة: 237]

وبدأ بها؛ إمَّا للانتصار لحقوقها، وإمَّا لأنه المعتاد، فقد تُفارق، ولم يُبَتَّ في تفاصيل المهر [البقرة: 236]

بصائر المعرفة القرآنية
قرآن يبني الإنسانية ترقى
مؤسسة بصائر المعرفة القرآنية

الأستاذ الدكتور
عبد السلام مقبل المجيدي

المطلب السادس: بيانُ السُّنَنِ الإلهيةِ للخروج من حالة الاستضعاف عند الوقوع فيها[1]

عُنيت سورة البقرة بتفصيل الكلام عن السنن الإلهية للخروج من حالة الاستضعاف، ومن أبرز الأمثلة التي سيقت لتحقيق هذا الغرض بنو إسرائيل الذين دهمتهم جحافل القوى المستكبرة لما أصابتهم الغفلة، وآثروا العبث بدينهم، فمروا بمرحلة الاستضعاف، ثم جاءت أجيال بحثت عن سنن الخروج من الاستضعاف والنهوض من الذل وتتابع الخسائر، والارتفاع إلى عرش التمكين، ولجأوا إلى نبيهم ليختار لهم قيادات قوية عظيمة، تردهم إلى ديارهم وأموالهم، وتقودهم إلى النصر والتمكين، ولما اختار الله ﷻ لهم تلك القيادة القوية الحكيمة بين أسباب الاختيار، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقاموا بمهمتهم، ونجحوا في اتباع سنن النصر التكتيكية، وتمكن المسلمون من بني

(١) أفردت هذه السنن بكتاب مستقل بعنوان: "اقتحام العقبة"، فليراجع فيه تفصيل سبل الخروج من حالة الاستضعاف.

إسرائيل في حينها أن يهزموا القوى الوثنية المعتدية ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ثم يختم الله ﷻ هذا العرض بقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، لترى هنا صناعة التوازن والسلام الحقيقيين، وتقرير أنه لا يتم حماية المكتسبات، إلا بالمدافعة والجهاد(١).

المطلب السابع: إظهارُ عظمةِ اللهِ ودلائلِ قُدْرته من أهمِّ أُسُسِ الحضارة الإسلامية:

ترى في السورة جليًّا مبدأ إحياء الموتى، وبعث الحياة في النفوس المستضعفة، وذلك في عدة مظاهر، منها:

المظهر الأول: المبدأ العام الدال على قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى بخلق الخلق من العدم، أو بإخراجهم من الأموات: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ...﴾ [البقرة:٢٨].

المظهر الثاني: ذكر الله ﷻ قصة قوم ماتت قلوبهم، فأراهم الله ﷻ معجزات متعددة في إحياء الأجساد الميتة: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٦].

المظهر الثالث: جعل الله مبدأ إحياء الموتى أحد العبر والآيات المفصلية في قصَّة أساسية من قصص التجربة الإسرائيلية، فقال: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٣].

المظهر الرابع: بين أن الخوف من الموت لا ينجي منه إذا حضر أجله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة:٢٤٣].

المظهر الخامس: ذكر الله ﷻ ذلك في القصص الثلاث الأخيرة في السورة، وهي القصص المدهشة، وتكرر فيها ذكر إحياء الموتى، فقال في أولها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨].

المطلب الثامن: إدارةُ الأموالِ في المجتمع المسلم، وأهميته في تثبيت أركان الحضارة:

أخذ هذا المحور حيِّزًا عظيمًا من السُّورة، إذ امتدَّ على مدى أربع صفحات تبيِّن كيفية إقامة المجتمع المتماسك القائم على العدالة الماليَّة الاجتماعيَّة، ولذا بيَّنت أَهَمَّ أُصُولِ حفظ الثَّروات الماليَّة، وكيف تتحوَّل من احتكار لمجموعة مغرورة ثريَّة إلى تراحم، وتماسك، وتنمية، وإعمار.

(١) ينظر: "اقتحام العقبة: من سنن تداول الأيام، عبد السلام المجيدي (ص ٨٣- ١٧٧).

وتكوَّن هذا المحور من ثلاثة أقسام:

القِسم الأول: الإنفاق سبيل المجتمع المتراصِّ: ضوابطه وآدابه [البقرة: ٢٦١-٢٧٤].

القِسم الثاني: الرِّبا أهمُّ نماذج التَّعاملات الماليَّة المحرَّمة، وكشف الفلسفة المدمِّرة التي يقوم عليها [البقرة: ٢٧٥-٢٨١].

القِسم الثالث: التَّداين وإدارة التِّجارة [البقرة:٢٨١-٢٨٣].

وهناك تفاصيل كثيرة وهدايات قرآنية أرشدت إليها هذه الآيات تبين الإدارة الإسلامية الناجحة للأموال، بما يضمن التكافل الاجتماعي العادل والرشيد للأفراد والمجتمعات(١).

المطلب التاسع: تأسيس سورة البقرة للجامعة الإسلامية

تناولت سورة البقرة موضوع إقامة الجامعة الإسلامية، انطلاقًا من المدينة النبوية؛ إذ صارت المدينة النبوية منارةً للعالمين في إقامة حضارة عادلة مزدهرة.

وقد ألمح الطاهر بن عاشور -رحمه الله- إلى هذا المعنى، فجعل سورة البقرة سورة الجامعة الإسلامية(٢) أي: القوم المجتمعون على الإسلام الذين يكونون ضمن المدينة المستقرة النامية، وليس البادية المتنقلة الظاعنة.

فأنشأت هذه السورة المجتمع والدولة المتكاملين في تشكيلاتهما الداخلية، وعلاقاتهما الخارجية، فمثَّلت دستورًا متكاملًا يضمُّ المواد المتعلقة بإنشاء الحياة المستقرة المتناغمة بين المدينة والبادية، وتنميتها، وحمايتها.

فهذه السورة أسَّست دولة وعاصمة يقام فيها النظام الإسلامي، وتشرق منها الحضارة الإسلامية لتنير مشارق الأرض ومغاربها بعدلها ورحمتها. لا عجب أن ترى هذه السورة جامعةً لموضوعات متعددة.

ومثَّلت هذه السورة دستورًا متكاملًا يضمُّ المواد المتعلقة بإنشاء الحياة المدنية وتنميتها وحمايتها، ويضمُّ القوانين التفصيلية في المجالات التشريعية: العبادية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية بل والنفسية، والوسائل الوعظية المكملة لها، وبها أقام النبي ﷺ مجتمعًا في غايةٍ من الرُّقِّي والحضارة بناء على الرؤية الإسلامية، واستطاع هذا النظام الحضاري بكل يسر أن يستوعب أعتى الحضارات المعاصرة المجاورة للمسلمين.

وهكذا ظهرت البيِّنة القرآنيَّة في سورة البقرة في أبهى حلَّة، وأفخم خطاب، فجاءت خاتمةُ سورةِ البقرة متناسقةً مع موضوعاتها وجوِّها وأهدافِها.

---

(١) ينظر: الوسيط في تفسير سورة البقرة، عبد السلام المجيدي (ص: ٣٨٥-٤٢٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢/١).

النتائج والتوصيات:

١) تُظهِر الخريطة الكلية لسورة البقرة صورة عظيمة للبينة القرآنية في ترتيب آياتها، وتسويرها بسُوْرِها المشهور بـ(سورة البقرة).

٢) شكَّلت الهدايات الكلية محاور متتابعة في السورة، وكوَّنت بذلك قاعدة مكينة للبناء الحضاري، بما اكتنزته من معالم الرشد وسنن الهدى القرآني الكفيل بالنهوض بالأمة من وهدة التخلف والضعف، إلى مراقي العز والتمكين.

٣) التسمية المميزة لهذه السورة رمزت إلى عدد من البصائر الكلية الضخمة منها: تلخيص تجربة الاستخلاف الإسرائيلية، وإلهام الحضارة الجديدة التي أرساها النبي ﷺ بأن تستخلص عوامل الإعمار المطلوبة، وعوامل الدمار المرهوبة في مسيرة بني إسرائيل، وتوظفها في تحقيق الفلاح في الاستخلاف الذي من الله به عليها.

٤) شكَّل تنوع المحاور في سورة البقرة قوة هائلة لإظهار ترابطها المتين عندما يغذوها التدبر العميق الذي تنفجر له ينابيع هدايات السورة، وهنا نرى أسس الحضارة الإسلامية تظلل البشرية برفقها وحنانها.

٥) لقد قعَّدت سورة البقرة لأسس الحضارة الإسلامية التي تظلل البشرية برفقها وحنانها، وإذا كانت قد نهضت بهذا الدور، وصنعت الأمة في العصور الأولى المشرقة من تاريخها فإنها –دون ريب– كفيلة بتحقيق هذه الغاية في كل عصر إن أخذت الأمة كتاب ربها بقوة، واستمسكت بهدايات القرآن ومعالم الحق الإلهي.

ويوصي الباحث في ختام بحثه بمواصلة الدور البحثي لاستخراج واستنباط ركائز العطاء والتأسيس الحضاري وفق المنظور القرآني من بقية السور القرآنية، والسعي لترجمة هذه الركائز والأسس في مشاريع إصلاحية مجتمعية، وبرامج مؤسسة للرخاء والرقي العالميين لبني الإنسان.

مصادر البحث

١) اقتحام العقبة: من سنن تداول الأيام (سُنَّة التَّدافع والخروج من الاستضعاف)، أ.د.عبد السلام مقبل المجيدي، دار لوسيل، الدوحة، ط١، ٢٠٢١م.

٢) الله والإنسان في القرآن، توشهيكو إيزوتسو، ترجمة: د. هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٣) التاريخ الكبير، البخاري، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٤) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، ٢٠٠١م.

٥) تسويرُ السُّورةِ القرآنيةِ.. إعجازٌ متجدِّدٌ (دراسةٌ تطبيقيةٌ على سورةِ النساءِ)، أ.د.عبد السلام مقبل المجيدي، مجلة كلية الشريعة/ جامعة قطر/ العدد ١، المجلد ٤٠، ٢٠٢٢م.

٦) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطَّبَرِي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٧) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه(صحيح البخاري)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار طوق النجاة، بيروت، مصورة عن الطبعة السلطانية، ط١، ١٤٢٢هـ.

٨) دلالة البرهان القوي على تناسب آي القرآن العظيم، البقاعي، من نسخة مخطوطة السليمانية رقم ٧٧٠، وهي قيد تحقيق أستاذنا أ.د/عبد الله الخطيب.

٩) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون أبو زيد، الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

١١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.

١٢) سنن النسائي الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي وآخرون، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م..

١٣) على عتبات الحضارة -بحث في السنن وعوامل التخلق والانهيار، بتول أحمد جندية، دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

١٤) فضائل القرآن، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق: مروان العطية، وآخرَان، دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، ط١، ١٤١٥ هـ /١٩٩٥م.

١٥) فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيستر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.

١٦) قصة الحضارة، وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٧) في معركة الحضارة، قسطنطين زريق، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٦٤م.

١٨) مجموع الفتاوى، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَةَ الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٩) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٩م.

٢٠) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن الحاج عمر ابن نبي، دار الفكر المعاصر- بيروت/دمشق، ٢٠٠٢م.

٢١) معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دكتور محمد أبو المحاسن عصفور، دار النهضة العربية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٢٢) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الرَّازِي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٣٦٤هـ.

٢٤) مفصل تفسير سورة البقرة، أ.د.عبد السلام مقبل المجيدي، دار الأسرة العربية، إسطنبول، ط١، ٢٠٢٣م.

٢٥) المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن الحَلِيمي تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩م.

٢٦) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان — الأردن، ط٤، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٧) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، الهند، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٨) الوجيز في تفسير سورة البقرة، أ.د.عبد السلام مقبل المجيدي، دار الأسرة العربية، إسطنبول، ط١، ٢٠٢٣م.

٢٩) الوسيط في تفسير سورة البقرة، أ.د.عبد السلام مقبل المجيدي، دار زقاق الكتب، إسطنبول، ط٢، ٢٠٢٤م.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ١
مقدمة ٢
المبحث الأول ٤
بين الهدايات الكلية، وعلم التسوير المعنوي ٤
الطور الأول: إشارات التأسيس: ٥
الطور الثاني: طور بدايات النضج والتأسيس: ٥
الطور الثالث: طور التقعيد والتكريس: ٦
جهد (د.ميشيل كويبرس البلجيكي): ٧
وكذلك جهد (ريموند فارين): ٨
المبحث الثاني ٩
الخريطةُ الكليةُ لسورة البقرة توضّح موضوعَها الكليَّ، وترسم هداياتها الكلية وبيناتها المذهلة في بناء الحضارة الإسلامية الجديدة في المدينة ٩
اسم سورة البقرة، ودلالاته الحضارية: ٩
حفظ سورة البقرة أساس للقيادة الحضارية: ٩
الخريطة الكلية التي تظهر المحاور العامة لسورة البقرة: ١٠
الموضوع الكلي لسورة البقرة الذي تدور حوله المحاور السابقة: ١٢
المبحث الثالث ١٤
الاستخلافُ الإسرائيليُّ بين الفشل والنجاح في إقامة مبادئ الاستخلاف في ضوء سورة البقرة ١٤
المطلب الأول: اهتمام القرآن الكريم بأخبار بني إسرائيل، وتجربة استخلافهم عبر القرون ١٤
المطلب الثاني: أقسام المحور الإسرائيلي في سورة البقرة ١٥
المبحث الرابع ١٩
أُسُسُ إنشاءِ الحضارةِ الإسلاميةِ في سورة البقرة ١٩
المطلب الأول: إرساءُ مبدأ التقوى ليكون أهمَّ أُسُسِ الحضارة الإسلامية: ٢٠

المطلب الثاني: أهميةُ تحويلِ القبلة إلى الكعبة، لتكون عاصمة الإلهام العالمي..... ٢١
المطلب الثالث: مركزيةُ الإيمانِ باليوم الآخر في الحضارة الإسلامية..... ٢١
المطلب الرابع: مبدأُ السمعِ والطاعةِ، وأثره في بناء الحضارة الإسلامية..... ٢٢
المطلب الخامس: بناءُ الأنظمةِ التشريعيةِ الحيويةِ لإدارة شؤون الحضارة الإسلامية:..... ٢٣
المطلب السادس: بيانُ السُّنَنِ الإلهيةِ للخروج من حالة الاستضعاف عند الوقوع فيها() ٢٧
المطلب السابع: إظهارُ عظمةِ اللهِ ودلائلِ قُدْرته من أهمّ أُسُسِ الحضارة الإسلامية: ٢٨
المطلب الثامن: إدارةُ الأموالِ في المجتمع المسلم، وأهميته في تثبيت أركان الحضارة: ٢٨
المطلب التاسع: تأسيس سورة البقرة للجامعة الإسلامية..... ٢٩
النتائج والتوصيات: **٣٠**
مصادر البحث..... **٣١**
فهرس الموضوعات **٣٣**